نواقض الأمن والسَّلام الداخلية والخارجية
وأمريكا في قفص الاتهام

إن الإخلال بالنظام العام وانحسار سلطان العدل الذي تكفله الشرائع والقوانين والأعراف سيؤدي بلا محالة إلى انعدام السَّلام أو انهياره إذا كان قائماً، وكما هو معروف فإن الهدم دائماً أيسر وأهون من البناء، لأنَّه من الصُّعوبة بمكان إقامة عمارة أو برج سكني أو تجاري بأساسه وجدرانه وطلائه وأبوابه ومصاعده...، وقد يستهلك بناؤه شهوراً ولربَّما أعواماً، لكنَّ هدمه لا يستغرق ثواني؛ لينهار البناء بكل محتوياته، والعلاقات الإنسانيَّة ليست استثناء، فلربَّما يهدم الأمن وينهار السَّلام الذي استغرق بناؤه وإقامته بين طرفين أو أطراف وإشاعة الثّقة فيما بينهم سنيناً من اللّقاءات والحوارات، ثم يحلُّ بدلاً عنه التوتُّر والحروب والنزاعات، بسببَ إطلاق رصاصة واحدة مَن أي طرف، وباعتبار أن السَّلام تَساهم فيه أطراف، وتَبنى أُسسه على عوامل داخليَّة من داخل المجتمع المسلم وتعود النتائج السَّلبيَّه لنقضه على الدَّاخل، أو خارجيَّة تَساهم فيه أطراف في الخارج بشكل مباشر أو غير مباشر ويؤدّي انهياره إلى تأجيج وزرع بذور الشّقاق والحروب وإيقاد نار العداوة والبغضاء؛ وتكون نتائجه ا لعكَسيَّة سيئة ومدمّرة على الدَّاخل، أو أَنَّ هذه النواقض تؤدي إلى انهيار لعرى السَّلام بين المسلمين وغيرهم من أهل الدِّيانات الأخرى، وبتحقّق ا لأركان التي أشرنا إليها آنفاً، وهي تنحصر في: (الأمن، والعدل، وتوفُّر الحاجَات)، نُنشئ ونرعى السَّلام في الدَّاخل الإسلامي؛ وفي الخارج مع الآخر القلق والمتخوف دائماً من الإسلام، وبالإخلال بها ينقض السَّلام وينهار.

أولا: نواقض السَّلام الدَّاخليَّة

إنَّ الحفاظ على السَّلام والأمن داخل المجتمعات الإسلاميَّة في هذا العصر تكتنفه الكثير من المخاطر، وتتربَّص به القلا قل والفتن، وهناك عوامل وأسباب تؤدي إلى انهيار السّلم االدَّاخلي في المجتمعات الإسلامية، من أهمها:

1- **ضعف الإيمان وانعدام الإخلاص لله تعالى:** لأنَّ ضعف الإيمان يؤدّي إلى الحرص على الانتصار للنَّفس، وعدم الاكتراث بالحق والوصول إليه بأدلّته الصَّحيحة، وهذا بداية الشّقاق وأسُّ الشُّرور، وكذلك فإن انعدام الإخلاص يؤدّي بصاحبه دائماً إلى أن يُخَطّئ كل من حوله، ولا يقبل بأساليب الحوار البنَّاءة، والحقيقة أن ضعف الإيمان سبب في كل النَّواقض اللاَّحقة.

2- **التَّنازع:** وهو ناقض تابع لضعف الإيمان، ولكنَّه إن حصل فسيجد كلٌّ من المتنازعين لنفسه مبرراً يجعله يعتقد أنَّه على صواب، أو يمني نفسه بذلك، وقد نهى الله ﷻ عن التنازع ووصفه بأنه السبب الرئيس في الفشل فقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال/46]، أي

"تذهب قوتكم أيا كانت هذه القوة"[1] ، وذهاب القوة يعني طمع الأعداء وتربُّصهم بكم، فأنتم دائماً ستتعرَّضون إلى الاعتداء، وأَمنَكم سيكون في خطر دائم، ولن تنعموا بالسَّلام ما دمتم متنازعين.

3- **الجهل في الدّين:** وقد أشرنا في كلِّ مناسبة تكلمنا فيها عن الكراهية والعنف اللَّذين ابتُليت بهما الأمة الإسلاميَّة فَي هذا الزمان؛ أنَّ ذلكَ كان بسَّبب الجهل، وهو سبب رئيس في كثير من المَنازعات، فالجهل هو المسؤول الأول عن التَّطرف الْمفضي إلى كلِ الشرور التي نراها في السَّاحةً الإسلاميَّة اليوم ومنذ القدم، فقد تطرَّف الخوارج لجهلهم فكفَّروا الصحابة وقاتلوا عليًّا ﷺ، وفي عصرنا تطرَّفت داعش فكفَّرت المسلمين وقتلت غير المسلمين من المعاهدين والمستأمنين والعاملين في الشَّركات الأجنبيَّة، وتطرَّفت المداخلةَ لجهلهم فاعتبروا كلَّ من يخالفهم خارجيًّا[2]، وغالَوا في ولائهم للحكَّام، وحرَّموا المظاهرات السّلميَّة والانتخابات، وكفَّروا من يقول بالديمقراطيَّة وينتمي للأحزاب السّياسيَّة، وما هذا إلاَّ لجهلهم المَركَّب، ولحجرهم للإسلام في المساجد؛ وعدم الدّراية بالمنهج الإسلامي الشَّامل الذي استوعب الحياة بكل تفاصيلها.

4- **الدكتاتوريَّة:** وهي مصطلح غربي بمعنى الاستبداد والظُّلم؛ مناف للعدل والقسط، ولا شكَّ أنَّ الحكم الدكتاتوريَّ قد جثم على صدر الأمة منذ زمن، فكما كان الاستعمار ظُلماً وقهراً وعبوديَّة، وكذلك الأنظمة التي خلَّفها المستعمر وراءه كانت أشدَّ منه طغياناً وظلماً، وقد أطلَّت الدّكتاتوريَّة برأسها على أمَّتنا فكانت سبب هوانها ومدمّرةً لمستقبل أجيالها، وبدلاً من الاشتغال بالتَّنمية والإعمار، كان طموح الأجيال وتطلُّعهم ومنتهى أمانيَهم؛ "إقامة حكم رشيد"، لأن الحكم الديكتاتوريَّ أقضُّ مضاجعهم ونغَّص عيشهم، فلم يهنؤوا في أوطانهم نتيجةً لهذا الاستبداد، ولطالما نشب الصّراع والاحتراب الدّاخلي بسبب هذا الحكم الشُّمولي الذي ابتليت به الأمَّة، فانشغل حكَّامها بحَروب جانبيَّة عبثيَّة سرقت أحلام أبنائها واستنزفت خيراتهم وأجهزت على خيرة شبابهم، ومن الشَّواهد على ذلك؛ حرب ليبيا وتشاد في ثمانينات القرن الماضي التي كانت لإرضاء غرور القذَّافي؛ ووقع ضحيتها الآلاف من الشباب الصّغار الذين أُخذوا من مقاعد الدّراسة الإعداديَّة والثانويَّة، وكان القذافيَ قد نصح ذات يوم في مرحلةَ مبكّرة من حربه الغادرة على الجيران، بأنَّهم لا يستحقون كل هذا الدمار، وكان بإمكانه كسب ودّهم وولائهم، بفتح التّجارة معهم وبناء المدارس والمعاهد بقُراهم المعدمة، فردَّ بأسلوب جاهلي وعنصرَي بالقول: "أَني مانيَش خايف من كمشة عبيد؛ ومستعد انخش انجامينا بالسّلاح الأبيض"[3] ، وليست ليبيا فحسب من وقع ضحيَّة مغامرات الرؤساء الدّكتاتوريين، فقد سبقَتها العراق، وما قام به صدام من احتلال للكويت، في 2- أغسطس 1990م، وكم نُصح

1- تفسير الشعراوي، /6090.

2- سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى قتل المداخلة للشيخ نادر العمراني أحد علماء ليبيا المعاصرين.

3-لهيب الصحراء: حرب تشاد مذكرات شاهد عيان، تأليف: (سالم الهمالي، عبد القادر الفيتوري)، الهيئة العامة للثقافة، 2020م، ص7.

الرئيس صدَّام لتفادي هذه الحرب وتجنيب العراق والمنطقة العربيَّة الدَّمار، ولكنَّه- وللأسف الشديد- لم يستجب لكل النَّصائح المخلصة التي قدّمت له؛ من رؤساء وخبراء عسكريين وسياسيين.

ولم يُطَح بالرؤساء الدّكتاتوريين في بلدانَ الرَّبيع العربي إلاَّ بانتفاضات وحروب، وبعض هذه البلدان مازالت تعاني بسبب َالتَّركة الثقيلة التي خلفها هؤلاء المستبدُّون وخاصَّة في أيَّامهم الأخيرة؛ بسبب تشبُّثهم الْمُردي بالحكم؛ الذي أوقع بلدانهم في دوَّامة عنف يصعب الخلاص منها، لأجل ذلك كانت الدّكتاتوريَّاتَ من أهم النَّواقض والخوراق للسَّلام والأمن فيً المجتمعات العربية والإسلاميَّة، وقد امتدَّت امتدَّت العواقب الوخيمة على الأمن العربي والإسلامي للأنظمة الدّكتاتوريَّة إلى العديد من البلدان، ونالت بنيرانها دولاً كثيرةً في العالم الإسلامي لازالت تعاني من ويلاتهاَ إلى هذا الوقت ولربما لعقود.

5- **الحرص على المصلحة الخاصَّة وإهمال مصالح الأمة:** وهو سبب معاضدٌ للأسباب السَّابقة، وناتج عنها؛ فضعف الإيما ن يولّد التَّنازع، والتَّنازع ينتج عنه الجهل المركَّب الذي يدخل صاحبه في العناد، وهذا الْمعاند لا يفكّر إلاَّ في نفسه ولا تُهمه مصالح الأمَّة، فقد يقيم الحروب لأَجل أن ينتصر لنفسه، ويدعو إلى َالكراهية َوالعنف ضدَّ من يختلفَ معه في وجهات النَّظر، وهذا دأب المناهج الإقصائيَّة التي لا تؤمن بالتَّعدُّديَّة ولا ترى إلاَّ نفسها على السَّاحة الدَّعويَّة.

6- **انحراف الدُّعاة** : وقد أشرنا من قبل إلى كم الانحرافات الموجودة في الخطابات الدَّعويَّة المعاصرة، وكيف أنَّ بعض الدُّعاة أخضعوا الخطاب الدَّعوي لأهوائهم وخدمة لأجنداتهم، فباتت بعض الخطابات الدَّعوية مسيَّسةً وبعضها الآخر يخدم أجندات وأيديولوجيات لجماعات متطرفة أربكت السَّاحة الإسلاميَّة بكم من الفتاوى الْمجتزأة والْمخرجة عن سياقاتها من هنا أو هناك، وبدون ضابط فقهي معروف عند الأئمة المعتبرين، وسبب ذلك كله انحراف بعض الدُّعاة عن المنهج الوسطيً، فكانوا دعاة فتنة ونزاع؛ لا دعاة تقارب وتصالح، وأضحت السَّاحة الدَّعويَّة في توتّر مستمر، كما تميَّزت كل الجماعات المتصارعة بمنظّريها الأيديولوجيين وشيوخها المتخصّصين فيً فتاوىً القتل الانتقائي لما يزعمون أنَّها فتاوى شرعية!َ.

7- **التَّاجيج الإعلامي**: وهو عمود الخيمة في التحريض على العنف، وأساس الشرور في نشر الشَّائعات؛ ومذهب الطمأنينة والاستقرار، وهو كما عرفنا في الفصل السابق "الخاص بالإعلام" أنَّه الْمتحكّم في توجَيه جماهير الأمَّة نحو الاستقرار، وعلى العكس فهو أيضاً مقضُّ مضاجعها ومثير أحزانهاَ بإشعاله الفتن وترويج الشائعات، فاختلال البوصلة الإعلاميَّة وميلها للتَّأجيج والتحريض على العنف والكراهية قد أرهق كاهن الأمَّة بالتَّراشق الإعلامي الذي- وفي كثير من الأحيان- أشعل حروباً حروباً بين أقطار إسلامية دامت سنين؛ في تقاطع وتوتُّر، والتهاب العلاقات بين دول عربيَّة وإسلاميَّة بات مألوفاً سماعه في مجتمعاتها، والعكس- من اتزان العلاقات والتَّهدئة الإعلاميَّة- هو المستغرب!، وهذا أمر غير طبيعي بين الأشقَّاء، والواقع أن كثيراً من الاحتقان تسبَّب فيه الإعلام، الذي يوجَّه عن

عمد وإصرار لتخريب الإجماع العربي والاتفاق الإسلامي، لأنَّ عوامل كالتي سبقت الإشارة إليها مثل: (الدكتاتورية، والتنازع، وانحراف الخطاب الدَّعوي...) وغيرها، تستخدم الإعلام لخدمة أجنداتها، فأضحى الخطاب الإعلامي التأجيجي مطيَّتها لإحلال التَّوتُّر بدل الهدوَء، والحرب بدل السلم، وبصمات الإعلام في هذا الاصطفاف واضحة لا لبس فيها.

ثانياً: نواقض السلام الخارجية

تتقلَّب نواقض السَّلام الخارجية بين المدّ والجزر، بمعنى أنَّ عوامل السَّلام الدَّاخلية ونواقضه لها ارتباط وثيق بالخارج، وتزداد بحسب اعتمادَ المسلمين من سياسيين ومفكرين وأصحاب الأجندات والأيديولوجيات على الخارج، كما يزداد تأثير هذه العوامل الخَارجيَّة وتداخلها بتزايد حَمَّى الاعتماد على الغرب في إدارة الصّراعات الدَّاخليَّة، وهي مرتبطة أيضاً بمزاج الدُّول الغربيَّة المتحكّمة في منظَّمة الأمم المتحدة، فمتى ما كانت مصالحها في التَّهدئة في الداخل العربي والإسلامي فإنها تقوَم بها وتسعى إلى تحقيقها، وبالعكس إذا كانت مصالحها تقوم على التَّأجيج وصناعة الحروب فإنها ستسعى إلى إشعالها، والدُّول الغربيَّة في نهاية الأمر؛ دولٌ مُصنّعةٌ للسّلاح مُتلكة للتكنولوجيا الحربيَّة، ومن مصلحتها أن تروج لما تصنعه، وبالتأكيد فإن التَّهدئةَ ليستَ ما تسعى إليه الدُّول المصدّرة للسلاح، وكلُّ ما يهمها هوَ جني الأ رباح من وراء هذه التجارة الرَّائجة في دول العالم الثالث، وكذلك أن تدار الحروب بمعرفتها وتحت رعايتها، وافتعال الأزمات بين فينة وأخرى يخدم هذه الأجندة الغربية، فقد أثبتت دراسة لمعهد "سيبيري" لأبحاث السَّلام أنَّ أمريكا وروسيا وفرنسا وألمانيا والصين احتلَّت المراكز الخمسة الأولى لأكبر مصدري السلاح في العالم، واستأثرت السعودية والهند ومصر وأستراليا والجزائر، بنحو ثلث صادرات العالم من الأسلحة، وفقاً للدّراسة [4]، وقد أثبتت الدّراسة أن أمريكا تتربَّع على قائمة المصدّرين لهذه الأسلحة وهذه التجارة بَالطَّبع لن تروج إلاَّ إذا كان هناك توتُّر وحروب وصراعات[5]، وقد أثبتت كل الأزمات الدَّاخليَّة التي مرَّت بها الأمة الإسلاميَّة في العقود الأخيرة أنَّ العامل الخارجي يعتبر عاملاً حسماً في تأجيج الصّراعات في المنطقة، بدأً من الاحتلال

4- USA and France dramatically increase major arms exports; Saudi Arabia is largest arms importer, says SIPRI, The independent resource on global security, 9 March 2020, SIPRI for the media, https://www.sipri.org/media/press-release/2020/usa-and-france-dramatically-increase-major-arms-exports-saudi-arabia-largest-arms-importer-says،تاريخ زيارة الموقع: 2021/2/16م.

5- توتُّر بين السعودية وإيران: السعودية تعزز ترسانتها من الأسلحة الأمريكية، وإيران تستورد من روسيا والصين، حرب على اليمن: الحوثيون يستوردون الأسلحة من إيران، السعودية تشتري مزيد من الأسلحة الأمريكية، السودان منقسم على نفسه وحروب بين الجنوب والشمال وكل طرف يغذى من أطراف خارجية، وبقطع النَّظر عن صاحب الحق في هذه الحروب، فإن المستفيد الأول هم الغرب ومنافسيهم" الصين وروسيا" فالتوتر في الداخل الإسلامي تغذيه أطراف خارجية لمصالحها الخاصة، وهذا أمر صار من البديهيات.

الصُّهيوني لفلسطين، مروراً بالعراق وأفغانستان، وحاليًّا القلاقل في بلدان الرَّبيع العربي، والحرب على اليمن، والحرب في سوريا... شواهد كثيرة على أنَّ أسباب نشوء الصراعات وإطالة عمر الأزمات في العالمين العربي والإسلامي أسبابها خارجيَّة، وإن كانت تدار بأيدي أبناء هذه الدُّول، لكن يظل حل الأزمات، ومفتاح جهاز التحكم، أو "The Remote Control"! في يد الغرب، فهو الذي يمد الأطراف بالسلاح وهو الذي ينشئ القرارات في مجلس الأمن، ويتحكم في قرارات "المحكمة الدوليَّة" ويعين قضاتهَا، وهو الذي يوافق أو لا يوافق على أحكام إداناتها لمن اتهموا بقضايا إجرام دولي حول العالم، أو يمارس ضغوطه إذا لم ترق له أحكامها وقراراتها، وخير دليل على ذلك التهديد الأخير من الولايات المتحدة الأمريكية لقضاة المحكمة الدولية بحجب تأشيرة الدخول لأمريكا عن موظفيها، وقد استنكرت المنظمة الدولية لحقوق الإنسان "هيومن رايتس ووتش" قرار الولايات المتحدة برفض منح تأشيرات لموظفي "المحكمة الجنائية الدولية" مؤكّدة بأنَّ هذا سيعيق المساءلة القانونية لمجرمين ارتكبوا جرائم دولية خطيرة، فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكي مايكل بومبيو في 15- مارس- 2019 أنَّ حظر منح التأشيرات سيطبق على موظفي المحكمة الجنائية الدولية المشاركين بتحقيق المحكمة المحتمل ضد مواطنين أمريكيين، وقد يستخدم لمنع تحقيقات المحكمة الجنائية الدولية ضد مواطني دول حليفة للولايات المتحدة![6].

فمن يُؤجج الصّرعات إذاً؟ ومن هو الذي لا يحترم القانون الدَّولي؟

إنَّ سياسة الإفلات من العقاب تُحرض وتُشجع سياسيين ومواطنين؛ مُفكرين وغير مفكرين مجرمين وتُجار حروب وما شابه؛ على فعل ما يشاؤونَ إذا كان ذلك الفعل ضدَّ مصالح ومستقبل بلدان العالم الثالث؛ فهو مباح مهما بلغت شناعته، بل إن دولاً عظمى- كالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة أو غيرها- المسؤولة عن الأمن والسلم الدوليَّين! ، هي التي ستوفّر لك الحماية، فلا قضاء دولي ولا محاكمة، بل ولا حتَّى إدانة فكل ذلكَ مجرَّم إذا كان ضد مواطنينَ غربيين، فكيف ستهدأ الحروب في بلدان العالم الثالث، وهل هناك قوَّة تستطيع أن تُلزم الغرب بالحفاظ على القانون الدولي.

وهذا الذي نراه في غزة من إبادة جماعية بدم بارد من الحكم الصهيوني المستبد وسياسة التجويع والعقاب الجماعي بدعم ورعاية الحكومة الأمريكية اليوم خير دليل على سياسة العين الواحدة التي ترعى بها السلطات المتعاقبة في الولايات المتحدة الكيان الصهيوني من دون اكتراث بحالات الرفض التي تبديها شعوبهم، ومظاهر السخط التي عمَّت كافة الدول الغربية اليوم.

سالم فرج صالح رحيل. جامعة طرابلس. ليبيا

6- ينظر: الولايات المتحدة تهدد "المحكمة الجنائية الدولية" رفض منح تأشيرات لموظفي المحكمة، مارس- 16-2019، على: https://www.hrw.org/ar/news/2019/03/16/328215، تاريخ زيارة الموقع: 2021/2/18م.